التربية دعاء القنوت

إن الله شرع هذا الدين وجعل من الطاعات والقربات ما يُقَرِّبُ منه سبحانه وتعالى، فجعل من الأعمال الصالحة ما تزكو به نفسُ المؤمن، ويخلُصُ قصدُه لله رب العالمين، ومن أعظم هذه العبادات الدعاء، فهو من أجلِّ القربات وعظيمِ العبادات، الدعاء شأنه عظيم، ونفعه عميم، ومكانته عالية في الدين، فيه تخليص العبيد من الاتجاه والتعلق بغير الله، قال ﷺ:(الدُّعاءُ هوَ العبادةُ) ثمَّ قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: 60]. الترغيب والترهيب

✉الدعاءُ شأنُه في الإسلام عظيمٌ، ومكانتُه فيهساميةٌ، ومنزلتُه منه عالية، في الدعاء يجد الداعي لروحه غذاء يقوي ضعفها، ودواء يضمد آلمها، يدعم كيانها، ويقوى بنيانها، ويجعلها تتغلب على كل ما يؤثر عليها، فلا يتسرب إليها يأس، ولا يتملكها ضعف.

✉الدعاء: استعانة العاجز بالقادر، والضعيف بالقوي، والفقير بالغني، استغاثة الملهوف برب رؤوف.

✉وقال ابن القيم رحمه الله:(والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه، ويخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن).

✉ الدعاء: تحقيق لمعنى التوحيد، فيوحد العبد قصده وطلبه ويقول بلسان المقال والحال لا معين ولا مغيث بحق الا الله.

عَنْ سَلْمَانَ الفارسي رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا أو قال خائبتَيْن) صحيح ابن ماجه

وعن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ) [مسند الإمام أحمد].

✉والدعاء عبادة من أجل العبادات وأعظم الطاعات وأنفع القربات، عن النُّعْمانِ بْنِ بشيرٍ رضِي اللَّه عنْهُما، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "الدُّعاءُ هوَ العِبَادةُ". صحيح الترمذي

✉ولنيل المطلوب، والحصول على المرغوب، والتقرب إلى المعبود، نفتَتَحَ الدُّعاءُ بحمدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ، والصَّلاةِ والسَّلامِ على النَّبيِّ ﷺ، ونخْتَتَمَ بذلك: سمع النبيُّ ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصلِّ على النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: ((عَجِلَ هَذَا))، ثم دعاه فقال له: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ مَا شَاءَ)) صحيح ابي داود.

⇦المقصود إذا صلى أحدكم: أي دعا، لان معنى الصلاة لغة: الدعاء.

📝ومجلسنا اليوم إن شاء الله سيكون شرح لدعاء القنوت.

عن الْحَسَن بْن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ :(اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ،

وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، ولا منجا منك إلا إليك) فقد روى أبو داود والترمذي والنسائي والجملة الأخيرة "لا منجا منك إلا إليك" رواها ابن منده في "التوحيد" وحسنها الألباني

تعريفُ القنوتِ:

القُنوت لُغةً: يُطلَقُ على الدُّعاءِ، والقِيامِ، والخضوعِ، والسُّكونِ، والسُّكوتِ، والطَّاعةِ، والصَّلاةِ، والخُشوعِ، والعِبادةِ، وطُولِ القيامِ، وأصْل (قنَت) يدلُّ على طاعةٍ وخيرٍ في دِينٍ.

القُنوتُ اصطلاحًا: هو الدُّعاءُ في الصَّلاةِ في مَحلٍّ مخصوصٍ من القيامِ. الدرر السنية

ومن السنة النبوية في دعاء القنوت أنه لا يكون إلا في صلاة الوتر وفي الصلوات الخمس فقط، والقنوت في الصلوات الخمس لا يكون إلا في حالات النوازل والبلايا فقط التي تحل بالمسلمين، والنوازل هي الأمور العارضة التي تكون مُفاجئة كهجوم العدو ونحوها، أما القنوت في صلاة الوتر فلم يكن يخصه الرسول في حالات النوازل، فهو يُسن في النوازل وغيرها.

محلُّ القنوتِ في الركعةِ الأخيرةِ مِن الوترِ، بعدَ الركوعِ، ويجوزُ قَبْلَه. الدرر السنية

والقنوت في الوتر من السُّنَّة فعله أحيانًا، وتركه أحيانًا، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

صلاة الوتر سنة مؤكدة لم يتركها الرسول في سفر ولا حضر، والوتر مشروع للأمة ما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر.

قال رسولُ اللهِ ﷺ (إنَّ الله أمدّكُم بصلاةٍ هي خيرٌ لكُم من حُمُرِ النعَمِ الوترُ جعلهُ الله لكم فيما بينَ صلاةِ العشاءِ إلى أن يطلعَ الفجرُ) صحيح الترمذي

صلاةُ الوتْرِ مِن النِّعمِ الَّتي مَنَّ اللهُ بها على أمَّةِ الإسلامِ، حيثُ أقسَم اللهُ بها في كِتابِه الكريمِ "وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ" (3) الفجر، وجعَلها اللهُ خِتامًا للصَّلَواتِ يَختِمُ المرءُ بها يومَه وليلتَه، وجعَلَ لها ثوابًا عظيمًا؛ لذلك لم يَترُكِ النَّبيُّ ﷺ صلاةَ الوترِ في سفرٍ ولا حضَرٍ.

وهل يرفع يديه في قنوت الوتر؟ يُستحبُّ رفْعُ اليدينِ في دُعاءِ القنوتِ.

قال ابنُ عثيمين: (من السُّنة أن يرفعَ الإنسانُ يديه عند دعاء القُنوتِ؛ لأنَّ ذلك واردٌ عن رسولِ الله ﷺ في قنوتِه حين كان يقنُت في الفرائِضِ عند النوازلِ، وكذلك صحَّ عن أمير المؤمنين عُمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه رفْعُ اليدين في قنوت الوتر، وهو أحدُ الخلفاء الراشدين الذين أُمِرْنا باتِّباعِهم؛ فرَفْعُ اليدين عند قنوت الوتر سُنَّة، سواء كان إمامًا، أو مأمومًا، أو منفردًا، فكلَّما قنتَّ فارفعْ يديك).

دعاء القنوت علّمه رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنه دعاء يدعو به في قنوت الوتر.

قال ابن عثيمين رحمه الله: هذا الدعاء الجليل، عظيم القدر والشأن، مشتمل على مقاصد ومطالب عظيمة، في الدين، والدنيا، والآخرة، وفيه معان جلال، في مسائل العقيدة والتوحيد، من التوسلات: بأسماء الله تعالى وصفاته، وأفعاله، وتوسلٌ بآلائه وإنعامه، وكذلك إثبات وإقرار بصفاته تعالى المثبتة والمنفية، وإيمان بالقضاء والقدر، والمشيئة، بأجمل المباني، وأوسع المعاني.

✉ويكفي أن نعلم أن النبي ﷺ علمه للحسن بن علي رضى الله في دعاء قنوت الوتر حتى نعلمه لأبناءنا.

الشرح:

الطفولة هو سن التعليم والاصل فيهم انه على استعداد لتلقي العلم، الرسول ﷺ علم الحسن وكان عمره ثمان سنوات.

نحن نريد تربية رجال ينفعون المسلمين كالصحابة الكرام الذين تربوا على القرآن والسنَّة، لا نريد أن نربي أولاد يُعظِّمون الدنيا ويحبُّونها، نخرجهم إلى سوق العمل، ونحرمهم من سوق الجنة، بسبب تفكيرنا الدنيوي، لا نريد جيل ينام عن صلاة الفجر، لا يستيقظ الا على حرث الدنيا، نريد جيل يحب الله، ويفكر في شرع الله، ويسعى لنيل رضا الله.

عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ

❍"علَّمني": معناها أن هذا الصغير الذي لم يناهز الحُلُم يُعلَّم كلماتٍ يحفظها.

❍" في الوترِ": معناها أن هذا الصغير يؤمر بأن يصلي الوتر، يؤمر بالنوافل، وهذا دليل على أن الصغير أهل لأن يُدرَّب على النوافل كما أنه أهل لأن يُدرَّب على الفرائض.

يجب أن نحفظ الأطفال أدعية من السنة والقران، ونحرص أن يفهموها ويعملوا بها، وعلينا أن نعلم الأطفال السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ، كما نعلمهم الفروض.

المهم التكرار والصبر وعدم استعجال الثمرة، صلِّ السنة، لا تنام إلا عندما تصلِّ الوتر، صلِّ الوتر، قل الاذكار، أقرأ اية الكرسي، ما تكرر تقرر، ستؤتي أكلها ولو بعد حين.

وفي بداية الأمر، يقال للصغير: اجمع قلبك على طلب هذه الخمس لأن من طلبها نجا: ❶الهداية، ❷العافية، ❸الولاية، ❹البركة، ❺الوقاية من الشر، ثم اثنِ على الله بهذا الثناء.

"اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ":

✉قال ابن عثيمين: فبدأ بأولى المطالب وأجلّها، الذي عليها الفلاح في الدارين الهداية: فسأل الله تبارك وتعالى الهداية التامة النافعة، الجامعة لعلم العبد بالحق والسير عليه، فإن أصل الهداية: الدلالة، وهي نوعان: هداية دلالة وإرشاد، وهي معرفة الحق، والعلم به، وهداية توفيق وسداد وثبات، وهذه الهداية لا يملكها إلا هو عز وجل.

✉(عبادة الاستهداء) عبادة ملازمة له طوال الحياة، يستهدي الله: يسير في هذا الطريق أو يسير في هذا الطريق في النومة والقومة والعمل في كل شيء؟ والمستهدي قلبه مليء بالإحساس بالخوف من التيه، يخاف أن يتوه، يخاف أن يقع في مصيبة، يخاف أن يُجاري أحدًا فيُضلُّه، يخاف أن يتخذ قرارًا فيضيع بسببه.

✉ألهمنا يا ربنا ووفقنا وأرشدنا ودلنا على طريق الخير والهدى والفلاح، وهو الطريق الموصل إلى الله تعالى وإلى جنته بمعرفة الحق والعمل به ولزوم دين الإسلام وترك ما سواه.

✉طوال الوقت تستهدي الله وتقولي اللهم اهدنا وسددنا، لماذا أعتنى الرسول بتعليم الحسن والناس هذه المفاهيم لأنها مهمة في حياتنا، ونحن نقتدي برسول الله ونعتني بالهداية.

📂 لنفكر من هدى ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم، وجميع الصحابة لأحسن الأقوال والأعمال، ومن المتأخرين البخاري من خرسان من هداه لحفظ مئة ألف حديث صحيح ومئتين غير صحيح، وابن القيم يموت في الثلاثين تاركاً علم غزير، ومؤلفات عظيمة، نفع الله بها العباد والبلاد، وغيرهم الكثير...اللهم يا من اصلحت الصالحين اهدنا لنكون صالحين.

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه – قال: قالَ لي رَسولُ اللهِ ﷺ: (قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ). رواه مسلم

⇦ففيه أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ عَلِيًّا رضي اللهُ عنه بأنْ يَسألَ اللهَ الهِدايَةَ والسَّدادَ، وأنْ يَكونَ في ذِكرِه وخاطِرِه، الهِدايَةِ إلى الصِّراطِ المُستَقيمِ، السَّدادِ وهُوَ الاستِقامَةُ وَإِصابَةُ القَصْدِ في الأَمْرِ.

قال الله تعالى: (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) [الفرقان:31]

✉ الهداية أعظم مطالب المؤمنين، أي أننا ندعوا الله أن يسلك بنا أكمل الطرق واقربها إليه وأقصرها، نسأله الطريق الموصل إلى رضاه سبحانه عز وجل.

✉لكن هل نستشعر أننا في ضلال لولا أن هدانا الله -عز وجل-؟! يقول اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: (يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ). صحيح مسلم

✉لو طلبنا الهداية من الله في كل خطوات حياتنا، مستشعرين فقرنا وذلنا وحاجتنا لله؟ فإن وعد الله حق ومن أصدق من الله قيلاً سيهدينا يقيناً.

✉ولا يهتدي الا الصادق في طلب الهداية، كما كان سلمان الفارسي نموذج للصدق في طلب الهداية، رغم نشأته في فارس وسط عبادة النار يبحث عن الدين الحق وخرج يبحث عن الله، وتحول من عابد للنار الى صحابي رضي الله عنه.

✉ونموذجًا آخر للصدق في طلب الهداية وهم سَحرة فرعون، قال ابن عباس: "كَانُوا أَوَّلَ النَّهَارِ كَفَرَةً سَحَرَةً وَأَصْبَحُوا آخِرَ النَّهَارِ شُهَدَاءَ بَرَرَةً"، كيف حصل هذا الانقلاب! إنه الصدق، فهذا فرعون عُرضت عليه نفس الآيات، بل وأكثر منهم، لم يقبل الإيمان! فالشأن للصادقين!

⇦يجب أن نحرص على طلب الهداية والسعي لها سعياً حثيثاً، فإذا لم نهتدي بهداية الله، نتوه في سبل الضلال، والانحراف، اعاذنا الله واياكن من ألم الضياع، (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا)[الانعام:72]

خطَّ رسولُ اللهِ ﷺ خطًّا بيدِه ثم قال: "هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال: هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكم عَنْ سَبِيلِهِ" أخرجه أحمد

📂هذه الشهوات والشبهات كما أخبر النبي ﷺ، دعاتها شياطين الإنس والجن، هذا يدعوا إلى الربا وهذا إلى الزنا وهذا إلى استحلال المعازف ولبس الحرير وهكذا.....

📄نعوذ بالله أن ننقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال، ومن الرشد إلى الغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم، إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم.

📂هناك شياطين يدعوا أبناءنا إلى الردى، انتبهوا لا تتركوا أبنائكم للشهوات، واشباع البطون، والأجهزة المدمرة، لا بد أن يجدوا من يدعوهم إلى الهدى، لا بد أن نقرر في قلوبهم أن أعظم نعمة أنعم الله بها على العباد، هي التوحيد، وأن معرفة الله، وطاعة الله هي مصدر السعادة، يكفينا

جهل في تربيتهم على المادة وحب المادة، وأنه بدون مال وشهادة ومناصب، ناقصين وأنهم لا شيء، بل يجب أن يعلموا أنهم بدون معرفة الله أنهم لا شيء ولو ملكوا الأرض بما فيها.

✉نعلمهم قصة مصعب بن عمير أول سفراء الإسلام، أقبل ذات يوم يلبس ثوب مرقع، فلما رأه ﷺ قال " لقد رأيت مُصعبا هذا وما بمكة فتى أنْعَمُ عند أبويه منه، ثم ترك ذلك كله حُبّا لله ورسوله"

📝غُرّة فتيان قريش وأوفاهم بهاءً وجمالا وشباباً، كان مصعب بن عمير أعطر أهل مكة لم يظفر بالتدليل مثله أي فتى من قريش، فكان المدَلّل المُنَعّم، ترك الدنيا لأجل الآخرة، ترك الفاني لينال النعيم الباقي، جاء الرسول ﷺ بعد معركة أحد وأصحابه يتفقدون أرض المعركة، ويودِّعون شهداءها، وعند جثمان مصعب سالت الدموع وفيرة غزيرة، ولم يجدوا شيئًا يكفنونه فيه إلا ثوبه القصير، إذا غطوا به رأسه انكشفت رجلاه، وإذا وضعوه على رجليه ظهرت رأسه.

☝لا بد أن نعلمهم أن النعيم ليس بالأجساد، إنما النعيم نعيم القلوب، وما فيها من سرور وراحة وطمأنينة، من قربهم من الله.

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ» ⇦أي دلنا على الحق ووفقنا للعمل به.

❶- هداية الدلالة والارشاد: هي العلم وبيان الحق، مصادرها الكتاب والسنة المطهرة.

✉قال عز وجل للنبي ﷺ: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الشورى: 52]، وإنك -أيها الرسول- لَتَدُلُّ وَتُرْشِدُ بإذن الله إلى صراط مستقيم- وهو الإسلام. التفسير الميسر

❷- وأما هداية التوفيق: رزق من الله يهبه لمن شاء عباده، قال تعالى: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [القصص: 56].

📝فهداية التوفيق والسداد والثبات، لا يملكها إلا هو عز وجل فينبغي للعبد حين يسأل الله سبحانه الهداية يتذلل وينكسر ويصدق في الطلب، فمهما ملك من الأسباب، إذن لم يوفقه الله للعمل بما علم فلن يفلح، حتى الرسول ﷺ لا يستطيع أن يوفق أحدًا للعمل الصالح أبدًا، ولو كان يستطيع ذلك لاستطاع أن يَهْدِي عمه أبا طالب، وقد حاول معه حتى قال لعمِّه عند وفاته: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فلم يستجب عمه، مع أنه يعلم أنه الحق وأنشد أبيات تشهد بذلك قال:

وَدَعَوتَني وَزَعَمتَ أَنَّكَ ناصِحٌ وَلَقَد صَدَقتَ وَكُنتَ ثَمَّ أَمينا

وَعَرَضتَ ديناً قَد عَلِمتُ بِأَنَّهُ مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا

لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري سُبَّةً لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ مُبينا

📝ويقول ابيات يقر بأنه على علم بصدق دعوة النبي ﷺ، ومع ذلك لم يقل: «لا إله إلا الله»، وكان آخر ما قال: «هو على ملة عبد المطلب»، وأخبر النبي ﷺ عن عمه أنه في ضحضاح من نار وعليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه وإنه لأهون أهل النار عذابًا، قال النبي ﷺ: «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»، فنتعلم من ذلك أن العبرة ليس بكثرة الدراية، إنما بالتوفيق لسلوك الطريق القويم الموصل لرضا رب العالمين، فإذا قلنا في الصلاة(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وفي دعاء القنوت: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ »، فينبغي أن نستحضر سؤال الهدايتين: هداية العلم النافع، وهداية العمل الصالح.

وقوله: «فِيمَنْ هَدَيْتَ»:

قال ابن عثيمين: فيه توسلاً إليه بإحسانه وإنعامه، أي: يا رب قد هديت من عبادك بشراً كثيراً فضلاً منك وإحساناً، فأنعم عليَّ بالهداية كما أنعمت عليهم. يسأل الله أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم، وهم كما قال الله تعالى:(فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: 69]

قال ابن القيم رحمه َ: أَنَّ فِي ذِكْرِ هَذَا الرَّفِيقِ مَا يُزِيلُ وَحْشَةَ التَّفَرُّدِ، وَيَحُثُّ عَلَى السَّيْرِ وَالتَّشْمِيرِ لِلَّحَاقِ بِهِمْ، أَيْ أَدْخِلْنِي فِي هَذِهِ الزُّمْرَةِ، وَاجْعَلْنِي رَفِيقًا لَهُمْ وَمَعَهُمْ".

قال ابن عثيمين: أن ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم، ولا بأنفسهم، وإنما كان منك، فأنت الذي هديتهم. وأن الهداية التي نطلبها لا تحصل هكذا غالباً، بل لابد لها من أسباب نبذلها، وأهم هذه الأسباب، وأجلها الدعاء، وصدق التوجه إليك، والمجاهدة في تحصيله.

فيا رب نسألك الهداية فإن ذلك من مقتضى رحمتك وحكمتك ومن سابق فضلك فإنك قد هديت أناسًا آخرين.

يجب أن نتعلم ونعلم أبناءنا، أن الدنيا إلى زوال فلا نتعلق فيها، فكل زهرة سوف تذبل، وكل بداية لها نهاية، إلا طريق الجنة لا نهاية له، فالسعادة متجددة، والنعيم لا يفنى، لانصب ولا وصب ولا وحزن ولا ألم ولا فراق، فأعظم العطايا، الهداية إلى طريق الجنان، ورضى الرحمن، والاجتماع مع سيد الأنام صلى الله عليه وسلم.

"وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ":

فيه سؤال الله تبارك وتعالى العافية المطلقة الظاهرة، والباطنة، في الدين، والدنيا، والآخرة؛ وسؤال الله السلامة والوقاية من أمراض القلوب، وأمراض الأبدان، فيدخل في ذلك العافية عن الكفر، والشرك، والفسوق، والغفلة، والأسقام، وكل الخزايا، والبلايا، وفعل ما لا يحبه، وترك ما يحبه، فهذه هي حقيقة العافية؛ ولهذا ما سُئل الربّ سبحانه وتعالى شيئاً أحب إليه من العافية؛ لأنها كلمةٌ جامعة للتخلص من الشر كله، وأسبابه، ونتائجه، وتبعاته.

وروى العباسُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ-! قَالَ: "سَلْ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ! فَقَالَ لِي: "يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلْ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ" رواه الترمذي.

عافنا من:

❶أمراض القلوب التي تهلك الإيمان.

❷وأمراض الأبدان التي تهلك القوى.

قال ابن عثيمين: ينبغي لنا أن نستحضر ونحن ندعو، أن الله يعافينا من أمراض البدن، وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلب أعظم من أمراض البدن، لذلك نقول في دعاء القنوت: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا».

وكُلُّ كَسْرٍ فإنَّ الدين يَجبُرُهُ * * * وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّينِ جُبْرانُ

⇦حَيَاةُ القُلُوبِ بِالإِيمَانِ وَمُرَاقَبَةِ اللهِ تعالى هِيَ حَيَاةٌ للأَبْدَانِ، وَمَوْتُ القُلُوبِ يُؤَدِّي إلى مَوْتِ الأَبْدَانِ، وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الأَبْدَانُ تَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قال تعالى:(فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) [الروم:52]

وقَالَ تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف:179]

✉وَأَخْطَرُ الأَمْرَاضِ القَلْبِيَّةِ هِيَ الغَفْلَةُ عَنِ اللهِ تعالى، وَهَذِهِ الغَفْلَةُ عَنِ اللهِ تعالى قَدِ اسْتَحْكَمَتْ فِي حَيَاةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَصَدَّتْهُم عَنِ الهِدَايَةِ، وَأَنْسَتْهُمُ الآخِرَةَ، وَانْشَغَلُوا وَخَاصَّةً مِنْهُمُ الشَّبَابَ وَالشَّابَّاتِ بِالأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَالمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ حَتَّى فَاجَأَهُمُ المَوْتُ، فَإِذَا بِالوَاحِدِ مِنْهُمْ يَصْرُخُ: (رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) [المؤمنون: 100]،(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) [الأنبياء:1-3]

✉القَلْبُ إِذَا غَفَلَ عَنِ اللهِ تعالى وَاشْتَدَّتْ غَفْلَتُهُ فَصَاحِبُهُ يَنْسَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهِ، وَلَا يَنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، بَلْ يَقِفُ مَعَ شَهَوَاتِهِ وَلَذَّاتِهِ، وَلَو كَانَ فِيهَا سَخَطُ رَبِّهِ وَغَضَبُهُ.

🗐 قال ابن عثيمين: أمراض القلوب تعود إلى شيئين:

❶ -أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى.

❷- أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل.

❁فالأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى، أن يعرف الإنسان الحق، لكن لا يريده؛ لأن له هوًى مخالفًا، قال النبي ﷺ: "لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هواه تبعًا لما جئتُ به" معارج القبول

🖃ومن هنا ندرك أن مخالفة الهوى تتطلّب همّة عالية، وعزيمة صادقة، فلا عجب أن يكون جهاد النفس من أفضل الجهاد عند الله، كما قال النبي ﷺ: "أفضلُ الجهادِ أن يُجاهدَ الرَّجلُ نَفسَه وهواه" صحيح الجامع

🖃كثر المساس يفقد الاحساس، استمراء المعاصي وعدم الإنكار يزيد الوبال على الناس يصلوا الى مرحلة انهم يبيحون المعاصي.

❍انظروا إلى الحجاب، والتغير الذي طرأ عليه تبعا للهوى، لا للمقايس الشرعية مع أنه فرض من الفروض، والسبب عدم الانكار واتباع الهوى والاستسلام للشهوات.

❍والاختلاط: وسقوط الحدود بين الرجل والمرأة، سواء في مواقع التواصل، أو مكان العمل، أو الاجتماعات العائلية.

❍مشاهدة التلفاز ووسائل الاعلام وما يبثوه من سموم، وأولياء الأمور يجالسون أبناءهم، مستبيحين ما حرم الله.... وقس على ذلك

✉المنكر يجب أن يبقى منكر، ولو فعله كل الناس، فلا يغرك كثرة الهالكين، فالمدح للقليل الثابت على أمر الله، قال تعالى:(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) [ص: 24]

"اللَّهُمَ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ"

❁والثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل؛ لأن الجاهل يفعل الباطل يظنه حقًّا وهذا مرض خطير جدًّا.

📝والخوف على العقيدة، لأنهم بدأوا في الدخول في مواقع لمجادلة الملحدين وخرجوا بشبهات في قلوبهم تسببت لهم في مشاكل قد تصل حمانا الله إلى إلحاد، يجب تكرار الحقائق عليهم وطلب الهداية لنا ولهم.

✉كم واحد منا يَبْكِي إِذَا مَرِضَ جَسَدُهُ، مَعَ أَنَّ مَرَضَ الجَسَدِ إِنْ صَبَرَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ فَلَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» رواه الإمام البخاري

✉لكن من منا يَبْكِي عَلَى قَلْبِهِ إِذَا مَرِضَ، وأَيْنَ مَنْ يَذْكُرُ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة البقرة:10]

لِنَحْرِصْ عَلَى سَلَامَةِ قُلُوبِنَا مِنَ الأَمْرَاضِ، فَوَاللهِ لَنْ يُفْلِحَ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ قَلْبُهُ سَلِيماً ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

📝فأنت تسأل الله المعافاة والعافية من أمراض الأبدان، ومن أمراض القلوب، التي هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.

وقولنا: "وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ":

📝فيه توسل إلى الله تبارك وتعالى بفعل الولاية، وهو مشتق من اسمين لله تعالى من الأسماء الحسنى: (الولي، والمولى)، أي كُنْ وليًّا لنا.

📠قال ابن عثيمين: والولاية نوعان: ❁عامَّة ❁وخاصَّة:

✉ فالولاية العامة هي: الولاية على العباد بالتدبير والتصريف، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق، فالله هو الذي يتولى عباده بالتدبير لشؤونهم وتصريفها ويستوي في ذلك مؤمن وكافر، فمن بيده مقاليد الأمور في هذا الكون إلا الله سبحانه وتعالى ومنه قوله تعالى: (ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) [الأنعام:62].

✉ والولاية الخاصة: أن يتولى الله العبد بعنايته وتوفيقه وهدايته، فقد يكون هناك طريق خيرٍ وطريق شرّ، فيهدي الله العبد الصالح إلى طريق الخير ويُجنّد له الجنود لنُصرته وتأييده، وهذه خاصة بالمؤمنين، وهي درجة رفيعة يختص الله بها من يشاء ويحب من عباده، قال تعالى: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يونس:62-63].

وقوله تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [البقرة: 752]، أي: نصيرهم وظهيرهم ويتولاهم بعونه وتوفيقه"

❍فنسأل الله تعالى الولاية الخاصة التي تقتضي العناية بمن تولاه الله عزَّ وجلَّ والتوفيق لما يحبه ويرضاه، فمن تولاه الله كفاه ورعاه وأغناه وأسعده في الدارين.

✉من طلب الولاية الخاصة يجب أن يسير في طريق الولاية وينهج نهج من سار فيها، في العلم عن الله ومحبة الله وطاعة الله والابتعاد عن معصية الله.

✉كيف تنال الولاية؟ كلما زاد العبد إيمان وعملا، ويقينا بالدار الاخرة، كان له حظ من الولاية.

🗁هذه الولاية تكون بوصفين بيّنهما الله عزَّ وجلَّ في كتابه، فقال عزَّ وجلَّ: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [يونس: 26، 36].

🖃(الذين آمنوا) في القلب، (وكانوا يتقون) هذه في الجوارح، فإذا صلح القلب والجوارح؛ نال الإنسان الولاية بهذين الوصفين، وليست الولاية فيمن يدعيها من أولئك القوم الذين يسلكون طرق الرهبان وأهل البدع الذين يبتدعون في شرع الله ما ليس منه، ويقولون نحن الأولياء.

🗐قال ابن كثير: "يُخبِر تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فقال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال، {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبُت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لأن الله تعالى أعطاهم صكَّ الأمان، فهم آمنون من العذاب؛ لأنهم حفظوا الله تعالى في دنياهم، فحفظهم في الدنيا والآخرة.

✉قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا».

✉ولاية الله لنبيه يوشع بن نون عليه السلام (إنَّ الشَّمسَ لم تُحبَسْ على بشرٍ إلَّا ليُوشعَ ليالِيَ سار إلى بيتِ المقدسِ) السلسة الصحيحة، وقال ﷺ: " غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ...، فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلَاةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، فَقالَ لِلشَّمْسِ: إنَّكِ مَأْمُورَةٌ وأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حتَّى فَتَحَ اللَّهُ عليه، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ..." صحيح البخاري

✉كرامة أبو الحسن الزاهد: كان عابدا يضرب به المثل في وقته، دخل على ابن طولون حاكم مصر وأمره بالمعروف، فغضب وأمر بسجنه، وان يجوع الأسد ويدخل عليه، فلما أدخل اقبل عليه الأسد ولحسه، ثم تركه قيل له: مالذي كان في قلبك حين شمك الأسد؟ قال: كنت أتفكر في سؤر السباع ولعابها؟ واحتال عليه أبو عبد الله القاضي حتى ضربه سبع درر، فقال : حبسك الله بكل درة سنه، فحبسه ابن طولون سبع سنين. (تاريخ بغداد لابن عساكر101/7)

✉كرامة خالد بن الوليد حاصر حصنًا منيعًا في دمشق، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

✉كلما زاد عمق جذور الايمان في قلبك، زادت الولاية لك حتى يكفيك كل ما أهمك، زاد عمق حبك ورجاءك وخوفك وتوكلك واستعانتك فزادت لك الولاية الخاصة.

"مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ" رواه البخاري

❁فعندما نقول: «اللهم اجعلنا من أوليائك»، أو «اللهم تولنا»، فإننا نريد بها الولاية الخاصة، وهي تقتضي العناية والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

وقوله: ((فيمن توليت))⇦ كسابقه توسّلُ الله من أنعم عليهم بالولاية الخاصة.

"وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ":

وقولنا: «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ»: البركة هي النماء والخير الكثير الثابت، وتكون حسية أو معنوية، ففي هذا سؤال الله عز وجل البركة في كل ما أعطاه الرب سبحانه وتعالى: من علم أو مال، وفي العمر، والأهل، والذرية، والمسكن، وغير ذلك بأن ينميه، ويثبته، ويحفظه و يسلمه من كل الآفات.

✉قال ابن عثيمين: البركة هي الخير الكثير الثابت، ويعيد العلماء ذلك إلى اشتقاق هذه الكلمة، فإنها من البِرْكة، بكسر الباء وهي مجمع الماء، فهي شيء واسع ماؤه كثير ثابت. فالبَرَكَة هي الخيرات الكثيرة الثابتة، والمعنى أي: أنزل لي البركة فيما أعطيتني.

«فِيمَا أَعْطَيْتَ»: أي أعطيت من المال والولد والعلم وغير ذلك مما أعطى الله عزَّ وجلَّ، فتسأل الله البركة فيه؛ لأن الله إذا لم يبارك لك فيما أعطاك، حرمت خيرًا كثيرًا.

✉ الله بارك لموسى عليه الصلاة والسلام بأخوه هارون وهو واحد، فكان نصيره وعون له (هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) [طه:30-34]

✉ويوسف أحد عشر أخ له لم ينفعوه، بل تآمروا عليه: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) [يوسف:9]، فليست العبرة بالعدد؟ انما العبرة بالبركة!

📃 البركة جند من جنود الله يرسلها لمن يشاء فإذا حلّت في المال كثّرته، وفي الولد أصلحته، وفي الجسم قوّته، وفي الوقت عمّرته، وفي القلب أسعدته اللهم أرزقنا البركة في كل شيء، واجعلنا مباركين أينما كما.

✉يجب الحذر من الدنيا، والتنافس فيها، اسألوا الله البركة في العطاء وليس الكثرة، لا تجعلوا الشهوات تنسيكم أنفسكم، فقد حذر رسول الله ﷺ، من الانهماك في جمع المتاع الزائل، قال ﷺ " فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ". صحيح بخاري

❍قال ابن عثيمين: هناك من الناس الذين عندهم مال كثير لكنهم في عداد الفقراء؛ لأنهم لا ينتفعون بمالهم، يجمعونه ولا ينتفعون به، وهذا من نزع البركة.

❍وقال ومن الناس عنده أولاد، لكن أولاده لا ينفعونه لما فيهم من عقوق، وهؤلاء لم يُبَارَكْ لهم في أولادهم.

❍وقال رحمه الله: وبعض الناس أعطاه الله علمًا كثيرًا لكنه بمنزلة الأمي، لا يظهر أثر العلم عليه في عبادته، ولا في أخلاقه، ولا في سلوكه، ولا في معاملته مع الناس، بل قد يُكْسِبه العلم استكبارًا على عباد الله، وعلوًّا عليهم، واحتقارًا لهم، وما علم هذا أن الذي منَّ عليه بالعلم هو الله، تجده لم ينتفع الناس بعلمه، لا بتدريس، ولا بتوجيه، ولا بتأليف، بل هو منحصر على نفسه، وهذا بلا شك حرمان عظيم ونزع للبركة، مع أن العلم من أبرك ما يعطيه الله للعبد...وقس على ذلك

قال ابن عثيمين: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ» الله عزَّ وجلَّ يقضي بالخير ويقضي بالشر. أما قضاؤه بالخير فهو خير محض في القضاء والمقضي.

"فما أعطى بفضله ورحمته، وما منع بعدله وحكمته".

✉مثال القضاء بالخير: القضاء للناس بالرزق الواسع، والأمن والطمأنينة، والهداية والنصر.. إلخ. هذا خير في القضاء والمقضي.

✉القضاء بالشر: خير في القضاء، شر في المقضي.

📝مثال ذلك: القحط (امتناع المطر) هذا شر، لكن قضاء الله به خير، كيف يكون القضاء بالقحط خيرًا؟ لو قال قائل: إن الله يقدّر علينا القحط، والجدب، فتموت المواشي، وتفسد الزروع، فما وجه الخير؟ نقول: استمع إلى قول الله سبحانه وتعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 14]، إذًا لهذا القضاء غاية حميدة، وهي الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى من معصيته إلى طاعته، فصار المقضي شرًّا والقضاء خيرًا.

⇦والمعنى: قِنَا شرَّ الذي قضيت، فإن الله تعالى يقضي بالشرِّ لحكمة بالغة حميدة، فكل شر مهما عظم وكبر، فلا بد فيه من الخير.

📄ولهذا قال ﷺ فيما أثنى به على ربه: «والخير بيديك والشر ليس إليك» ⇦لهذا لا ينسب الشر إلى الله سبحانه وتعالى.

📢قصة رجل قال هدايتي على يد ولدي الاعمى: يقول الشاب: لم أكن قد بلغت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي، ما زلت أذكر تلك الليلة، كنت سهران مع الأصحاب في إحدى الشاليهات، وكانت سهرة حمراء بمعنى الكلمة كما يقولون! أذكر ليلتها أني أضحكتهم كثيراً، فقد كنت أمتلك موهبة عجيبة في التقليد، وبإمكاني تغيير نبرة صوتي حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه، فكنت أسخر من هذا وذاك، ولم يسلم أحد مني حتى أصحابي، وصار بعض أصحابي يتجنبني؛ كي يسلم من لساني وتعليقاتي اللاذعة، وفي تلك الليلة سخرت من رجل أعمى رأيته يتسول في السوق، والأدهى أني وضعت قدمي أمامه ليتعثر، فتعثر وانطلقت ضحكتي حتى دوت في السوق، وعدت إلى بيتي متأخراً، ووجدت زوجتي في انتظاري، وكانت في حالة يرثى لها، فقالت: أين كنت يا راشد؟ قلت ساخراً: في المريخ، عند أصحابي بالطبع.....

"فإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ":

«فإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ» فيه التوسل إلى الله عز وجل بأنه يقضي على شيء؛ لأن له الحكم التام، والمشيئة النافذة، والقدرة الشاملة، فهو يقضي في عباده بما يشاء، ويحكم فيهم بما يريد، لا رادَّ لحكمه، ولا معقِّب لقضائه، والقضاء هنا يعمُّ القضاء الشرعي، وهي أحكامه الشرعية، وقضاؤه الكوني: وهي أقداره التي قدرها لمن في السماوات والأرض من مخلوقاته.

⇦ فالله تعالى يقضي على كل شيء وبكل شيء؛ لأن له الحكم التام الشامل.

«وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ» قال ابن عثيمين: أي لا يقضي عليه أحد، فالعباد لا يحكمون على الله، والله يحكم عليهم، العباد يُسألون عما عملوا، وهو لا يُسأل: {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 32].

كما في قوله تعالى: "وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" [الرعد:41] ، فنفى الله تعالى أن يقتضي عليه أحد، أو يعقّب في حكمه((وذلك لكمال ملكه، وعزته، وعظمته، وسلطانه، وحكمته، وعدله تبارك وتعالى)).

"وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ":

«وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ» وهذا كالتعليل لقولنا فيما سبق: «وتولنا فيمن توليت»، أي: لا يصير ذليلاً حقيقة من واليته، فإن الله سبحانه وتعالى إذا تولّى العبد، فلا يذلّ، ولا يلحقه هوان في الدنيا، ولا في الآخرة.

✉فإذا تولى الله الإنسان فإنه لا يذل، وإذا عادى الله الإنسان فإنه لا يعز.

📃ومقتضى ذلك أننا نطلب العز في طاعة الله سبحانه، ونتقي الذل بمعصية الله عزَّ وجلَّ، فلا يمكن أن يذل أحد والله تعالى وليه، فالمهم هو تحقيق هذه الولاية بالايمان والطاعة بفعل الأوامر وترك النواهي.

⇦وهذه هي الولاية المقصودة في هذا الدعاء المبارك التي تقتضي: التوفيق، والنصرة، والعناية، والصبر عن كل ما يغضب الله تبارك وتعالى، وفي هذا تنبيه على أن من حصل له ذلّ في الناس، فهو بنقصان ما فاته من تولى الله تعالى، وإلا فمع الولاية الكاملة ينتفي الذل كله، ولو سلّط عليه من في أقطار الأرض.

«وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ» عني: إذا عادى الله تبارك وتعالى العبد، فإنه لا يعزّ، ولو اجتمع أهل الأرض والسماوات معه، بل حاله الذل والخسران، فمن أراد العز فليطلبه من الله عز وجل، ومن أراد أن يتّقي الذلّ فليكن مع الله جل وعلا، قال الله عزو جلَّ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) [الأنعام:62] ودلّ قوله: (عاديت) على صفة العداوة الفعلية لله تعالى، تقتضي العقاب، والعذاب، والذلّ، والخسران.

📠ذكر ابن أبي الدنيا عن الفضيل بن عياض قال: "أوحى الله إلى بعض الأنبياء: " إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لايعرفني ". (الجواب الكافي:31)

✉ من كان عدوًّا لله فإنه لا يعز، بل حاله الذل والخسران والفشل، قال الله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} [البقرة: 89]، ⇦فكل الكافرين في ذل وهم أذلة.

✉ولهذا لو كان عند المسلمين عز الإسلام وعز الدين وعز الولاية؛ لم يكن هؤلاء الكفار على هذا الوضع الذي نحن فيه الان، حتى إننا ننظر إليهم من طرف خفي، ننظر إليهم من طريق الذل لنا، والعز لهم؛ لأن أكثر المسلمين اليوم مع الأسف لم يعتزوا بدينهم، ولم يأخذوا بتعاليم الدين، وركنوا إلى مادة الدنيا، وزخارفها؛ ولهذا أصيبوا بالذل، فصار الكفار في نفوسهم أعز منهم.

⇦لكننا نؤمن أن الكفار أعداء لله وأن الله كتب الذل على كل عدو له، قال الله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) [المجادلة:02]. وهذا خبر مؤكد، ثم قال: (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) [المجادلة: 12]،

✉فمن عادى الله عزَّ وجلَّ فهو ذليل لا يمكن أن يكون عزيزًا إلا في نظر من لا يرى العزة إلا في مثل ما كان عليه هذا الكافر، وأما من نظر أن العزة لا تكون إلا بولاية الله عزَّ وجلَّ والاستقامة على دينه فإنه لا يرى هؤلاء إلاَّ أَذَلَّ خلق الله.

"تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ":

«تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» قوله: تباركت أي: تعاظمت يا الله، فلك العظمة الكاملة من كل الوجوه والاعتبارات، ومن ذلك كثرة بركاتك، وعمّت خيراتك التي يتقلّب بها أهل السماوات والأرض.

وقوله: «وَتَعَالَيْتَ»: أي أن لك العلو المطلق من كل الوجوه من الكمال: علوّ الذات، وعلوّ الغلبة والقهر، وعلوّ النزاهة عن كل العيوب والنقائص والآفات.

❶- أمّا علوّ الذات: فهو سبحانه وتعالى عليَّ بذاته، فوق كل خلقه، مستوٍ على عرشه، كما يليق بجلاله.

❷- وعلوّ الصفات: فله علوّ الكمال في صفاته التي لا أكمل منها، ولا أعلى منها، التي لا تحيط كل الخلائق ببعض معاني صفة واحدة من صفاته.

❸- وعلوّ الغلبة والقهر: هو الغالب والقاهر لكل شيء، فلا ينازعه منازع، ولا يغالبه مغالب، فدانت له كل الكائنات، وخضعت تحت سلطانه كل المخلوقات.

❹- وعلوّ النزاهة عن كل العيوب، والنقائص، لكماله من كل الوجوه.

❺- وهو المتعالي عن الشريك، والنظير، والمثيل.

وروى الدارمي والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:" بينَ السماءِ الدنيا والتي تليها خمسمائةُ عامٍ ، وبينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ خمسمائةُ عامٍ ، وبينَ السماءِ السابعةِ والكرسيِّ خمسمائةُ عامٍ ، وبينَ الكرسيِّ والماءِ خمسمائةُ عامٍ ، والعرشُ فوقَ الماءِ ، واللهُ فوقَ العرشِ ، لا يخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكم). والحديث صححه ابن القيم والذهبي

⇦فسبحانك ما أعظم شأنك، سبحت لك السماوات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، الكل معترف بعظمتك وعلوك فهم لك قانتون، وإليك يجأرون، وعلى باب فضلك عاكفون.

⇦ونحن نردد تباركت ربنا وتعاليت، أن نشعر ب الخضوع، والذل، والانكسار للرب الأعلى.

"ولا منجا منك إلا إليك": أي: لا ملاذ ولا مهرَبَ ولا مَخْلَصَ من عقوبتك إلاَّ بالفزع إليك والاعتماد عليك، كما قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}، وكما قال تعالى: {كَلاَّ لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ).

فما أحوجنا لهذا الدعاء في هذا الزمان: (اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ، ولا منجا منك إلا إليك)

🗐أصول السعادة في سؤال: الهداية، والعافية، والتولي، والبركة، والوقاية، فإن هذه المطالب الجليلة عليها السعادة، والهناء في الدنيا، والآخرة.

🗐قال ابن القيم رحمه الله:(الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب).

✉الدعاء كنز عظيم، نافع ناجع، يعمل على تقوية الصلة بين العبد و الله تعالى، و يعمل الدعاء على إراحة الإنسان في قلبه، و سريرته، يدفع البلاء، و يشفى الداء، و يعين العبد على طاعة الله ، وعلى اجتناب المعاصي ، و الابتعاد عن المنكرات ، و الاقتراب من طريق الهداية ، و الإيمان أكثر فأكثر .

«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

تم بحمد الله وتوفيقه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.